المديح النبوي في شعر عبدالرحيم البرعي اليمني

الباحث. مسعود باوان بوري

طالب بمرحلة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة الشهيد مدني بأذربيجان/ إيران

الباحث. عباس عرب

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة الفردوسي مشهد/ إيران

الباحث. أمير مقدم متقي

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة الشهيد مدني بأذربيجان/ إيران

الباحثة. كبرى ألوار

طالبة دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة الزهراء/ إيران

Prophetic Praise in the Poetry of Abdul Raheem Al-Bura'i Al-Yamani

Researcher. Masood Bawan Boori

A Ph.D Students in the Department of Arabic/ University of Al-Shaheedmadani/ Azerbaijan/ Iran

Researcher. Abbas Arab

Associate Prof. in the Department of Arabic/ University of Al- Firdawsi – Mashad/ Iran

Researcher. Ameer Mukaddam Mutaki

Associate Prof. in the Department of Arabic/ University of Al-Shaheedmadani/ Azerbaijan/ Iran

Researcher. Kubra Alwar

A Ph.D Students in the Department of Arabic / University of Al- Zahra'/ Iran

masoudbavanpouri@yahoo.com

Abstract

The prophetic praise is one of the most important subjects in which many studies of Arabic literature have been interested. One of the poets is Abdul Raheem Al-Bura'i who is a Mamloki, Yamani.

Key words: Praise, Prophet (pbuhh), Abdul Raheem Al-Bura'I, implications.

الملخص:

المديح النبوي من الموضوعات الأصلية والفسيحة وذي الأهمية البالغة في الأدب العربي الذي قد أختص قسم عظيم من التراث العربي الإسلامي به وقد صوّرت فيه شخصية النبي (ص) والمضامين التاريخية والدينية التي وقعت حوله دون النظر إلى أي مبالغة. عبدالرحيم البرعي، شاعر يمني الأصل المملوكي، اختص قسماً عظيماً من ديوانه بوصف النبي (ص) ومدح شخصيته اليتيمة. وموضوعاته الشعرية ملأة بالعواطف الدينية والمعاني الراقية التي اغترفتها الشاعر من معين وجدول النقاء المحمدي، فكانت بذلك تعبيراً عن حبه للنبي الأمجد، وصاحب المقام الأسعد. أما المنهج المتبع فهو المنهج التوصيفي – التحليلي الذي يقوم على استحضار المديح النبوي في شعر الشاعر ومن ثم بيان دوره فيه. يشير البرعي إلى مضامين شخصية كالرحمة، الجود والسخاء، الحلم، العدل و ... ويشير أيضا إلى حياة النبي (ص) ونسبه، معجزاته والأحداث التأريخية التي وقعت في زمنه. في الحقيقة هذه المعاني حقيقة نابعة من عقيدة إيمانية صادقة وحب سام المقصد والغاية لذلك تنوّعت مضامينها ومنطلقاتها بين الشّوق والإتباع، وطلب الشفاعة والرّجاء.

الكلمات المفتاحية: المديح، النبي (ص)، عبدالرحيم البرعي، المضامين

المقدمة

مفهوم المديح

المديح فن ثناء ولغة التقدير، ومجال الفضائل والمثل تخليداً للقيم والأخلاق. عُرف عند العرب من القديم؛ إذ كان يعبر عن روح العصر. وقد عرّفه ابن منظور في لسان العرب بقوله: «المدح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء، يقال: مَدحتُهُ مدحة واحدة، ومَدَحَهُ ويمْدَحَهُ، مدْحاً ومدْحة. والصحيح أن المدح المصدر والمدحة الاسم والجمع مدَحٌ، وهو المديح والأماديح» (ابنمنظور، لاتا: مادة مدح: 452)، هو ذكر للشمائل والمناقب فنقول: «مَدَحَهُ مَدْحاً أثنى عليه بما له من الصفات» (مجمع اللغة العربية، 1973: 857)، نابع عن عاطفة الاحترام، والتقدير والتبجيل. أمّا في أساس البلاغة للزمخشري: «مَدَحَ: مدحه وامتدحه وممتدح ومُمَدَحّ، يمدح بكل لسان - العرب تتمدح بالسّخاء، وهو يتمدح الى الناس أي يطلب مدحهم» (الزمخشري، لاتا: 324). يعرّف حسن سرباز المدح بقوله: «المدح هو فنٌّ شعري يتطرق الشاعر فيه الى فضائل الممدوح الأخلاقية وصفاته المثالية ويصور جوانب مختلفة من حياة الملوك والوزراء والعلماء والأدباء والشعراء التي لم يتطرّق اليها المؤرخون» (سرباز، 1424: 39).

مفهوم المديح النبوي

المديح النبوي من أهم موضوعات الشعر العربي وقد نظم الشعراء المسلمون فيه قصائد لاتُعدّ ولا تحصى. «فمنذ بزوغ فجر الإسلام أقبل الشعراء على مدح النبي (ص) و آله معبرين عن عواطفهم الجيّاشة تجاه الرسول (ص) مدافعين بشعرهم عن النبي الكريم ورسالته» (خاقاني وعزيزي بور، 1387: 16).

المديح النبوي هو الشعر الذي ينظمه الشعراء في مدح النبي (ص)، معدّدين فيه صفاته الخُلْقية والخُلُقية، وواصفين الشوق لرؤيته وزيارة قبره وغيره من الأماكن المقدّسة التي تتصل بحياة الرسول (ص) وذاكرين لمختلف معجزاته ومراحل سيرته وأحداثها، ومتتبّعين لغزواته وما الى ذلك.

وقد يبرز الشاعر المادح في هذا النوع من الشعر تقصيره في أداء واجباته الدينية، ويذكر ذنوبه، مناجياً الله بصدق وخوف، مستعطفاً إياه طالباً منه التوبة والمغفرة. وينتقل بعد ذلك الى الرسول (ص) متوّسلاً اليه، طامعاً في شفاعته عند اله يوم القيامة. ويتداخل المديح النبوّي، في الغالب، مع القصائد الزهد وقصائد التصوف وذلك لما بينهما من علاقة.

وقد عرّف زكي مبارك، وهو من أشهر الباحثين في هذا الموضوع، المدائح النبوية بقوله:« فنّ من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلّا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص» (زكي مبارك، 1935: 17).

وهذا المديح لا شبه بينه وبين المدح التكسبي أو مدح التملق، الذي يوّجهه الشعراء المتكّسبون بشعرهم الى السلاطين والوزراء وغيرهم. فهذا المدح يوّجه الى أفضل خلق الله، محمد (ص) ويطبعه الصدق والمحبة والوفاء والإخلاص. ومن المعهود أن هذا المدح النبوي الخالص يتسم بالتضحية والانغماس في التجربة العرفانية والعشق الروحاني اللدني.

ظهور المديح النبوي

المديح النبوي فن قديم متجدد، أرسى قواعده كعب بن زهير وتبعه شعراء آخرون في بيان مناقب الرسول تعبيراً عن مشاعر والإعجاب والرجاء ومتنفساً ببؤس الحياة الإنسانية ووسيلة للشفاعة والتقرب من الله تعالى. وتعد قصيدة كعب بن زهير (ت 24 هـ) المرتكز الذي بنيت عليها القصائد المدحية في الرسول (ص)، لذلك قال المقري: «هذه القصيدة لها الشرف الراسخ، والحكم الذي لم يوجد له ناسخ، انشدها كعب في مسجد المصطفى بحضرته وحضرة اصحابه، وتوسل بها فوصل الى العفو عن عقابه، فسدّ الرسول صلّى الله عليه وسلم خلّته، وخلع عليه حلّته ... فهي حجة الشعراء فيما سلكوه وملاك امرهم فيما ملكوه، ... ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت الى الآن ينسجوك على منوالها ويقتدون بأقوالها تبركاً بمن أنشدت بين يديه، ونسب مدحها اليه» (المقري التلمساني، 1401، ج3: 443) وهي من أشهر القصائد التي قيلت في مدح الرسول والمسلمين، لقدمها وقوة سبكها وجمال معانيها، ولأنها أنشدت بين يدي

الرسول وحضور الصحابة، وهو خائف وقلق بعد أن تخلى عنه الأخلاء وهدر دمه فظفرت بقبوله وإعجابه الى درجة جعلته يعفو عنه على الرغم من هجائه له، ويخلع بردته عليه، لذلك سميت بقصيدة البردة التي بقيت في أهله حتى اشتراها معاوية منهم، وتوارثها الخلفاء الأمويون، فالعباسيون حتى آلتْ الى بني عثمان (الفاخوري،1385: 224).

ظهر المديح النبوي في الشعر العربي في زمن مبكّر، وشاع مع انطلاق الدعوة الإسلامية، لكن ازدهر وتطّور على يد الشعراء الذين ظهروا ابتداء من نهاية العصر العباسي، وفي مقدمتهم شاعر المديح النبوي الأكبر، شرف الدين البوصيري وقد سلك مسلكه في هذا المجال عدد من الشعراء ولهذا يختلف مؤرخو الأدب في بداية ظهور المديح النبوي، فمنهم من يذهب الى أنّه فنّ قديم ظهر مع الدعوة الإسلامية، ومنهم من يذهب الى أنّه فنّ مستحدث لم يظهر إلّا في القرن السابع الهجري مع الشاعر شرفالدين البوصيري (الجراري، 1982: 141) ومن النماذج الأولى للمديح النبوي قصيدة «طلع البدر علينا» وقصائد حسان بن ثابت وغيره من شعراء الرسول (ص) وقد ذهب الشعراء كذلك، الى مدح أهل البيت وفي مقدمتهم أبنا فاطمة، كما فعل الفرزدق والكميت (المرجع نفسه: 142).

أهداف البحث

إن غاية ما نصبوا إليه هو دراسة موضوع المديح النبوي كتجربة شعورية صادقة أم مفتعلة، شعرية لها بنية لغوية جمالية ومقاييس تلائم طبيعتها الخاصة.

إبراز الموروث الديني المتمثل في التراث الإسلامي الذي يتم تجسيده من خلال المديح النبوي الذي يعتبر لون من ألوان التعبير الفني.

دراسة المديح النبوي في شعر شاعر خامل وهو عبدالرحيم البرعي اليمني.

الدراسات السابقة

أما في ما يتعلق بموضوع بحثنا فهناك عدة دراسات ومقالات نشير إلى عنوانها فقط: احمد فوزي الهيب (2005) في المقالة «المديح النبوي الأندلسي بين لسان الدين وابن جابر»، مجلة التراث العربي، العدد 97/ جميل حمداوي(2007) في المقالة« شعر المديح النبوي في الأدب العربي»، مجلة الديوان/ حسن سرباز (1424) في المقالة «المدائح النبوية نشأتها وتطورها في الأدب العربي»، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 10/ محمد خاقاني ومحمد رضا عزيزي بور (1387) في المقالة «المديح النبوي وبواعثه في الشعر المهجري»، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد 9/ علي سليمي ومحمد نبي الأحمدي (1432) في المقالة «المدايح النبوية في الشعر العربي دراسة في تطورها التاريخي)»، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، العدد 18. وعدة مقالات ورسالات أخرى حول هذا الموضوع ولكن لات وجد مقالة حول المديح النبوي في شعر عبدالرحيم البرعي ونريد أن نتناول إلى هذا الموضوع في شعره معتمداً على منهج الوصفي– التحليلي.

خصائص الفنية والبنيوية لمدائح البرعي

براعة الاستهلال

مع أن البرعي قد عاش في زمن المملوكيين لكن أختار الأسلوب الماضيين في الاستهلال وبداية الشعر النبوي وبدأ شعره بذكر المرأة وجمالياتها ووصف البادية ورسوم بالية وأماكن لأرض غريبة وفيه ينظر إلى مطلع لكعب بن زهير:

أمن تذكر أهل البان والبان أم من تبدل الجيران بجيران

فكم أحن حنين الثاكلات على نجد وتنجدني بالدمع أجفاني(البرعي، 1412: 39)

ويقول في قصيدة أخرى:

كلفت بكم ففاض دمي دموعا وبت سمير من الهجر الهجوعا

رحلتم ذات ذاك البين عني فها أنا بعدكم أبكي الربوعا (المرجع نفسه: 47)

كما نلاحظ يبدأ البرعي شعره بأسلوب عربي قديم وفيه يذكر أيام ماضية وأماكن خالية ورسوم بالية. نستطيع أن نقول يبدأ شعره بهذا الشكل في كثير الأحيان لكن لايرعى الأصول كلها في بداية الشعر؛ أو بعبارة أخرى يتكلم عن ألم الفراق وتبدل الأزمان وتغيير الديار قليلاً ويكتفي بوصف عابر من يوم الفراق وسرعان يتناول بالمديح و يتصل إتصالاً سريعاً بين المقدمة والنص الأصلي. تارة نشاهد يبدأ البرعي شعره دون أي مقدمة طللية ويتمسك بالدعاء والتوسل والإستشفاع. كأن ليست لدى الشاعر بغية غير ارضاء روحه والإستشفاع لنفسه ولأبويه وهذا يسبب أن لا تكون بنية شعره مدونةً ومتقنةً ويبدو بالنظر أن أبيات شعره يخطر بذهنه في البداهة ودون فكرة عميقة لأن تارة يبدأ شعره بهذا الشكل:

يا رب صل على النبي المجتبى ما غردت في الأيك ساجعة الربا (البرعي، 1412: 46)

الوحدة العضوية

نستطيع أن نقول يرعى البرعي الوحدة العضوية في شعره على حد مقبول لأن يدور اشعاره حول النبي (ص) ولو يتناول بمسائل أخرى وشخصيات أخرى يسعى أن يحفظ الإرتباط بينها وبين المديح النبوي، أو بعبارة أخرى الموضوعات والأحداث والأشخاص في الشعر البرعي تحسب في زمرة مدائحه النبوية وليست مستقلة والشاعر لو يتناول بالأشخاص والأحداث الفرعية سرعان يرجع إلى موضوعه الاصلي.

حسن الختام

ويجتهد الشاعر البرعي في الصلاة والسلام على الحبيب امتثالاً لله تعالى الذي يأمرنا بالصلاة والسلام عليه في كل وقت وحين لنيل الحسنات والبركات حيث يقول عز وجل: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (الأحزاب/ 56)، فيخاطب البرعي المسلمين بعد الوصف والتفسير والشرح الأحداث ويريد منهم أن يصلوا علي النبي لأنه شفيعهم يوم القيامة

بالله يا متلذذين بذكره صلوا عليه فما أحق وأوجبا

صلوا على المختار فهو شفيعكم في يوم يبعث كل طفل أشيبا (البرعي، 1412: 47 و46)

ويدرج الشاعر الصلاة والسلام على الرسول (ص) في تضرعه لله تعالى ودعائه بأن يغفر ذنوبه وإسرافه في أمره ويرضى عنه ويلحقه بزمرة صحب محمد (ص) طالباً من الله تعالى أن يشفع فيه الرسول ليدخل الجنة. يستشفع الشاعر بذكر اسمه في ختام أشعاره كثير الأحيان وكأن ملخص كلامه وبغيته هو السعي لشفاعة النبي (ص) ومساعدته بيوم الجزاء، فيقول:

صلى وسلم ذو الجلال عليك من عبدالرحيم توسلا وتقربا (المرجع نفسه: 47)

وقل عبدالرحيم غدا رفيقي وما يخشى رفيقك أن يضيعا (المرجع نفسه: 49)

نستطيع أن نقول حول شعر البرعي وإطاره بأن تغلب البداهة والسرعة والعاطفة القوية على شعره وهو يستفيد من الشعر حسب ذوقه؛ أو بعبارة أخرى لا يرى نفسه ملتزماً بحفظ السنن الشعرية المدحية. يستفيد البرعي من أساليب النداء والأمر والنهي لتبيين مقصوده وإبراز عاطفته الجلية ويخاطب النبي (ص) ويتكلم معه تكلماً منفرداً، فهو يتصور النبي (ص) قريبا باستعمال حرف المنادى كأن هو يكون بخدمة الرسول (ص) ويتكلم معه وهذا ناتج عن عاطفته الصادقة، فيقول:

يا سيدي يا رسول الله يا أملي يا موئلي يا ملاذي يوم يلقاني(البرعي، 1412: 41)

يا صاحب القبر المقيم ببثرب يا منتهى أملي وغاية مطلبي

يا من نناديه فيسمعنا على بعد المسافة سمع أقرب أقرب(المرجع نفسه: 44)

إن أهم العناصر الشعرية في شعر البرعي هي عاطفته المثيرة والقوية التي يطلق الشاعر عنانه ويلمسه القارئ بشكل محسوس وقابل للفهم. يعترف الشاعر بحب النبي (ص) وذريته (عليهم السلام) ويعلن معاندته مع أعدائهم ويفتخر بثقافة الإسلامية ويتوسل بالنبي (ص) ويستشفع منه وكل هذه الأمور يدّل على إحساسه اللطيف به ويقوّي تقدس شعره ويخلق لحناً صميماً. أما بجانب العاطفة

نشاهد أن الأمر والدعاء من الأساليب البيانية التي يستخدمها الشاعر في شعره بشكل كثير على نحوٍ تختص عدة كثيرة من أبياته بالدعاء والأمر والنداء، مثل:

يا رب صل على النبي وآله ما لاح برق في الأباطح او خبا

بالله يا متلذذين بذكره صلوا عليه فما أحق وأوجبا

صلوا على المختار فهو شفيعكم في يوم يبعث كل طفل أشيبا (البرعي، 1412: 47 و 46)

دراسة المديح النبوي لعبد الرحيم البرعي

حياة النبي (ص)

إن حياة الرسول (ص) مليئة بالأحداث والوقائع التي لا تحسب واقعة أرضية في كنف وجوده بل هو زمن له ابعاد مختلفة وزوايا متعددة ونستطيع أن نقسم حياته المباركة بثلاثة اقسام: سياسية، اجتماعية ودينية. يشير البرعي كسائر الشعراء إلى مقاطع مختلفة من حياة الرسول (ص) و في أثناء شعره ينظر إلى زواياها الدينية، السياسية والاجتماعية بشكل مباشر أو غير مباشر ونتكلم حول أهمها في هذه الدراسة.

النبأ بظهور النبي (ص) من جانب سائر الأنبياء (عليهم السلام)

لقد جاء النبأ بظهور النبي (ص) في الكتب والأقوال لسائر الأنبياء وقد انعكس البرعي هذا الأمر في شعره؛ فيشير إلى بعض الكتب مثل التوراة والزبور و... ثم يتكلم عن أقوال الرهبان وربما يشير إلى قول راهب النصراني وهو يهودا إلى عم النبي الكبير أبوطالب (ع)

آياته الغر في التوراة بيتة وفي زبور وإنجيل وفرقان

كم أخبرتنا به من قبل مبعثه فينا بشائر أحبار ورهبان (البرعى، 1412: 40)

ثم يتناول الشاعر بأن يوجد الأخبار حول ظهور النبي (ص) على الناس ويشير أيضاً إلى بشارة موسى وعيسى (عليهما السلام)

تظافرت الأخبار من قبل بعثه بأن يظهر الرحمن أعلى الورى كعبا

وبشرنا موسى وعيسى ابن مريم به ومن الأحبار من قرأ الكتبا (المرجع نفسه: 94)

لقد أستفاد الشاعر من تأريخ المنظوم بشكل عام ووسيع لتطوير عمله الأدبي وهذا سبب بأن يسلط الإيجاز والاختصار على شعره لأنه يجتنب من تشريح وبسط حادثة التأريخية وأستفاد من التلميح كأصل هام في شعره.

نسبه

«أبو القاسم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، شيبة الحمد، بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن نصر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن معد بن عدنان. أتفق المؤرخون بهذا النسب ولكن يصل نسب عدنان إلى إسماعيل» (أنظر مرتضى العاملي، 1388، ج 1: 181). روي عن النبي (ص): حينما وصل نسبي إلى عدنان توقفوا (الإربلي، 1381، ج 1: 181). كان أبرهة حاكم اليمن وعزم على هدم الكعبة لكن أباد على يد الأبابيل وولد النبي بهذه السنة (أنظر، ابن سعد، 1990، ج 1: 56؛ الزمخشري، 1418، ج 3: 560). قال الرسول (ص): إني دعاء أبي إبراهيم إذ كان يرفع قواعد الكعبة ويقول: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ» (البقرة/ 129) و (ابن سعد، 1990، ج 1: 149؛ ابن عساكر، 1415، ج 3: 393).

يعلن البرعي أن الأرض كانت مبتجهة من نور الرسول (ص) ويعرّفه بشمس لأفق الهدى التي كل الرسل أنجمه ويريد منه أن يترغم المشركين

والأرض تبهج من نور ابن آمنة والحق تصمي ثغور الجور أسهمُه

إن أبن عبد مناف من جلالته شمس لأفق الهدى والرسل أنجمُه

فأصدع بأمرك يا ابن الشم من مضر فقد بعثتَ لأهل الشرك ترغمه (البرعي، 1412: 52)

الأحداث بميلاد النبي (ص)

بميلاد الرسول (ص) حدثت في الكون أحداث كبيرة وعجيبة كصّدع إيوان كسرى وخمود نار فارس وانتكاس الأصنام وغيضان المياه وإهلاك أصحاب الفيل و... وذلك إيذاناً بالتغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي سيشهدها العالم بقيادة سيد الأنام لدولة الإسلام. يشير الشاعر إلى بعض الحوادث التي وقعت مثل خمود النار وشق الإيوان

متى تجلت لنا أنوار مولده من الحجاز إلى بصرى وكنعان

تتابعت منه آيات الظهور فما خمود نار وما شق بايوان (البرعي، 1412: 40)

أيضا يعلن الشاعر بأن نزلت الملائكة ليلة ولادته ونكست الأصنام في الأرض وأخمدت النيران بأرض الفرس وخاب اليهوديون الذين كانوا بانتظار ظهور نبي من بينهم

وأهبطت الأملاك ليلة وضعه وناداه من في الكون رحبا به رحبا

ونكست الأصنام في كل وجهة وغلت يد الشيطان تبا له تبا

وأخمدت النيران في أرض فارس وكل يهود الشام قد عدموا خبا (المرجع نفسه: 95)

أمية النبي (ص)

الأمي من ألقاب النبي (ص) التي جاءت بالقرآن الكريم مرتين «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ* هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ»(الأعراف/ 58 و 57). نستطيع أن نحسب الياء فيها، ياء النسبة وبهذا الشكل نقول الأمي منسوب إلى الأم يعني الذي كان أمياً كما ولد من أمه وأيضا ننسب الياء إلى الأمة يعني الذي يسلك كعامة الناس لأن لا يعلمون أكثر الناس القراءة والكتابة وفي حالة الثالثة ننسبه إلى أم القرى يعني مكة لأن يسمي القرآن الكريم المكة بهذا الاسم «وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا» (الإنعام/ 92). لقد أشار إلى أمية النبي (ص) كثيراً كما يقول الإمام الرضا (ع) وهو يخاطب رأس الجالوت اليهودي: إن من دلائل صداقة رسولنا يرجع بأنه كان يتيماً وفقيراً وراعياً وما قرأ كتاباً وما ذهب عند أستاذا لكن جاء بكتاب فيه حكاية الأنبياء ونبأ المسبقين والمقبلين (شيخ الصدوق، 1398: 241). يشير البرعي إلى نزول القرآن المبين على النبي (ص) وهو يعلن بأن ليس عنده علم بأن يقرأ ما ينزل عليه ثم يشير إلى الحوار بينه وجبريل

قالت أتاه السبع في المتعبد برسالة اقرأ باسم ربك وابتد

فأجاب لستُ بقارئ من مولدي فثنى عليه اقرأ وربك أكرم

فبحقه صلوا عليه وسلموا (البرعي، 1412: 33).

معراج النبي (ص)

معروف بأن كانت الإسراء والمعراج قبيل الهجرة (مرتضى العاملي، 1388، ج 1: 291) لكن يعتقد بعض بأن وقعت السنة الثانية للبعثة (المجلسي، 1403، ج 18: 319) وقد سجل ابن الكثير السنة الأولى لها (ابن الكثير، 1408، ج 3: 108)، لكن يقول ابن شهر آشوب: بعد اسراء النبي في سنة تاسعة للبعثة وجبت الصلوات اليومية (ابن شهر آشوب، 1384، ج 1: 43). قد أشار البرعي في شعره إلى المعراج وقرب الرسول (ص) إلى مقام الله حد قاب قوسين بينهما

يا رب صل على الذي أدنيته من قاب قوسين الجناب الأقربا (البرعي، 1412: 46)

ثم يشير إلى مكان حركته وهو المسجد الأقصى

سارت إلى المسجد الأقصى ركائبه يزفه مسرج الإسرا وملجمه (المرجع نفسه: 52)

كرّر الشاعر مكان الإسراء ويشير إلى لمحة ناظر

ومسرى رسول الله من بطن مكة إلى المسجد الأقصى كلمحة ناظر (المرجع نفسه: 75)

خروج من مكة والاختفاء في كهف الثور

إن الهجرة تحسب من الإجراءات النبي التي يظهر مبادرته العملي وانعطافه أمام المشاكل. يعلن سيد قطب الحصول على قاعدة جديدة كان دافعاً أصلياً للهجرة (قطب، 1408، ج 1: 29). حينما توافق المشركون في دار الندوة على قتل النبي (ص) وحى هذا الأمر على الرسول« وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ»(الأنفال/30). وهو خرج ليلا وكان يقرأ هذه الآية «وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ» (يس/9)، ونام علي (ع) في منامه لكي لا يخبر الكفار عن خروجه والتحق أبوبكر (رضي الله عنه) به (الخوارزمي، 1374: 73؛ حاكم النيسابوري، لاتا، ج 3: 133). حينما خرج المشركون لمعاقبتهما ذهبوا إلى كهف الثور وباضت يمامة ونسج عنكبوت خيطاً على بابه (دياربكري، 1390، ج 1: 328؛ ابن الكثير، 1408، ج 3: 183 و 182). لقد أشار البرعي على هذه المواضيع في شعره

وقريش أذ عزم الرحيل مهاجرا ملأوا المسالك راصدا ومشاجرا

فمضى لحاجته ولم ير حاجراً والقوم يقظى والبصائر نوم

فبحقه صلوا عليه وسلموا (البرعي،1412:35)

نثر التراب على رءوس الحسد وسرى وقد وقفوا له بالمرصد (المرجع نفسه: 35)

لما رأى الغار انثنى متوجها فرقت وراه قريش زاخر لجها

وبنت عليه العنكبوت بنسجها وبيضها سخت الحمام الحوم

فبحقه صلوا عليه وسلموا (المرجع نفسه: 36)

معجزاته

للنبي (ص) معجزات كثيرة وأكبرها القرآن الكريم. لقد أشار البرعي إلى معجزات النبي (ص) كشق القمر، والتكلم مع عوامل الطبيعية والحيوانات. يريد الشاعر من المخاطب يلوذ إلى الذي تسبح الحصباء في يده

فلُذ بِمَن سبح الحصباء في يده واقصُد كريم السجايا مطلق العاني (البرعي، 1412: 40)

ثم يشير إلى سائر المعجزات كشق القمر، ميل الجذع والهشيم للنبي وتكلمه مع الظبية، ثم يشير إلى قصة النبي مع امرأة يهودية قصدت أن تصب النبي بالسم ولكن تكلمت الشاة المسمومة مع النبي وأخبرته

لك القمر المنير انشق طوعا وحنّ الجذع واخضر الهشيم

ومنطق ظبية وخطاب ضب وفي الرمضاء ظللت الغيوم

وقد ناداك سم العضو صوتاً أغيرك مَن تكلمه السمومُ (المرجع نفسه: 59)

أشار البرعي إلى غليان الماء من كف النبي (ص) وسقيان الجيش العظيم منها

قمر سقى الجيشَ العظيم بكفه نهر أزال غليل كل فؤادي (المرجع نفسه:81)

تفوق النبي (ص) على سائر النبيين (عليهم السلام)

جاء في كتاب كشف الأسرار للميبدي: إن النبيين هم الأعزاء خاصة المرسلين الذين منتجبون لكن ليسوا كنبينا العربي والهاشمي وهو سيدهم وهو أكمل الكمال وجملة الجمال ... ومن ذلك قال النبي: لي مع الله وقتٌ لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل (الميبدي، 1344، ج1: 683). وقد جاء في حديث من النبي: ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي (شميسا، 1386:602). يطلق البرعي زمام العاطفة والشوق ويفتخر بدين الإسلام ونبيه الفريد استناداً على الآيات القرآنية والأحاديث ويضفي على صحة أشعاره وعاطفته الحارة بها، ويعتقد أن ينجلي النبي على السائرين كشمس لها مكارم الأخلاق والشرف العلي وينتشر نورها في البلاد ثم يريد من المخاطبين أن يصلوا عليه لأنه محقوق به

وعلى تمام الأربعين ستنجلي شمس النبوة للنبي المرسل
بمكارم الأخلاق والشرف العلي فسناه ينجد في البلاد ويتهم
فبحقه صلوا عليه وسلموا (البرعى، 1412: 34 و33)
ثم يشير إلى مكانة عظيمة للنبي (ص) لجلال قدره
ولأنت أسمى المرسلين مكانة بجلال قدر أو علو ركاب (المرجع نفسه: 66)
ثم يعرّفه بالذي يلوذ كل الناس بظل لوائه يوم القيامة
هو من يلوذ غدا بظل لوائه كل الورى والرسل والأشهاد (المرجع نفسه: 81)

أخلاق النبي (ص)

إن النبي (ص) من الأشخاص الكبيرة والمؤثرة في تأريخ العالم التي كانت هذا التأثير ملازم بوجود خصائصه الخلقية والعملية. إن عظمة ومكانة الرفيعة لخلقيات النبي (ص) انعكست في القرآن الكريم «وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم/4)

لجأ الشاعرون المادحون إلى ترسيم وتوصيف شخصية النبي باستناد بالقرآن الكريم والموثوقات التأريخية. انعكست خلقياته في شعر البرعي أيضاً وهو يعلن أن للنبي الحسن و الإحسان وهو حاوٍ للخلق والأخلاق
ذو الحسن والإحسان سر اليم ن والإيمان حاوي الخلق والأخلاق (البرعي، 1412: 55)
ثم يحق الشاعر النبيَ بوجود الخلق العظيم
لك الخلق الذي وسع البرايا وحق لمثلك الخلق العظيم (المرجع نفسه: 59)

الرحمة

كانت معاملة النبي مع الناس على أساس الفضل والرحمة وهو يغض الطرف أمام سيئة الناس به وكانت عين الرحمة والملاطفة هو الرحمة المهداة للخلق حبذا كريم السجايا يا خير باد وحاضر (المرجع نفسه: 75)
وعلمنا الأحكام والرشد رحمة لنا ووقانا دائرات الدوائر (البرعي، 1412: 78)
هو أحمد الهادي المجاهد والذي يروي بكوثره الغليل الصادي (المرجع نفسه: 81)
رجونا به من ظلمة الظلم رحمة فمد علينا ظل ملته الغلبا (المرجع نفسه: 94)

الجود

كان النبي كريما وجادا ووافيا بالعهد على نحو توقع الناس– العاصي والطاهر– عطائه وجوده لأن كان النبي أجود من البحر مستجمع الحسن والإحسان والكرم ال فياض فاض فلم يعرف بإمساك (البرعي، 1412: 71)
هو أكرم الكرماء ان عصفت به ريح السماح وأجود الأجواد (المرجع نفسه: 81)
هو الكرم الذي ملأ البرايا هو العلم الذي ركب البراقا (البرعي، 1412: 103)
إن جاد يوم الجود فهو غمامة أوصال يوم الروع فهو صوارمه (المرجع نفسه: 109)

الحلم

كان حلمه أكبر من حلم الناس لأن يسعى أن يظهر الإيمان الحقيقي والتسامح والملاطفة والرأفة الإسلامية بالناس فهو يعامل السوء بالحسن ويسخّر قلوب الكافرين وينيرها بنور الإيمان
بشير منذر قمر منير أخو صفح عن الجاني حليم (البرعي، 1412: 59)
راسخ الحلم والصفح الجميل اذا يرجى وليس لذي ستر بهتاك (المرجع نفسه: 71)
خزائن رحمتي لك فاقض فيها بحكمك لست أمنعك العطاء (البرعي، 1412: 98)

العدالة

كان النبي مثلا أعلى للعدالة في معاملاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية وعدالته عصيرة من الحكمة والشجاعة ولا فرق عنده بين الغني والفقير

العدل سيرته والفضل شيمته والرعب يقدمه والنصر يخدمه (البرعي، 1412: 52)

الأمانة

الأمانة من الخصائص التي كانت النبي متصفاً به و يسمونه الناس بمحمد الأمين

محمد الأمين حبيب ربي عريض الجاه قائله عميم (البرعي، 1412: 59)

الفصاحة

دون أي شك إن الفصاحة والبيان الفريد للنبي كانت من أهم أسبابه في تأييد وتصديق رسالته لأن التمتع بالبيان والفصاحة كان ثقافة وفكرة غالبة بين العرب وخصيصة فريدة استوتْ طريق النبي للتأثير والنفوذ في القلوب والأذهان

ومنطق ظيبة وخطاب ضب وفي الرمضاء ظللت الغيوم (البرعي، 1412: 59)

ومن شرف الأعراب أن محمدا أتى عربي الأصل من عرب فصح (المرجع نفسه: 100)

التسامح والعفو

كان غض الطرف والتسامح والتساهل من الخصائص البارزة لنبينا العزيز وهو كان يلاطف مع الأعداء والعاصيين وما كان هذا الأمر ناتج عن ضعفه بل كان من عظمته وكبره

يلقى المسيئين بالحسنى كعادته ويوسع المذنبين العفو مقتدرا (البرعي، 1412: 63)

وقل يا شفيع المذنبين إعانة لذي دعوة يرجو إقالة عاثر (المرجع نفسه: 78)

نبي دعاه المذنبون وهم على شفا جرف هاد فمد يد الصفح (المرجع نفسه: 100)

الإرشاد وإظهار الطريق

كان نبينا هاديا ومرشدا كبيرا

الصادق الهادي, الأمين المجتبى والسابق المتقدم المتأخر (البرعي، 1412: 106)

رجوناك في الدارين يا علم الهدى لأنك في الدارين هاد ومرشد (المرجع نفسه: 133)

إن الخصائص الخلقية وبراعة الاجتماعية والتواصلية لنبينا كانت أهم أدواته لنشر وتصديق رسالته الإلهية، لذلك تخصيص الأبيات الكثيرة من جانب البرعي بترسيم وتوصيف خلقيات النبي كان أمرا طبيعيا وفي الحقيقة كان انعكاسا للواقع والحقيقة. في الواقع إن النبي هو مثل أعلى وأسوة كاملة للكماليات الأخلاقية والإنسانية في شعر البرعي والنبي هو شخص قد تعلمة الله وله شخصية متمايزة ومتكاملة ومليئة بالكمال والجمال. لكن علينا أن نتذكر يستخدم البرعي أوصاف النبي بشكل مباشر ولكن دون أي شرح وإيجاد ارتباطا وثيقا بين هذه الأوصاف مع ظواهر أخرى ويذكر السبب والمنشأ للأثر كثير الأحيان ولا يتكلم أن المسبب وأثراته.

الحصيلة

قد أستفاد البرعي من سيرة النبي وكلامه بسبب إرادته الخاص به وتبرك شعره بالنعت ووصف النبي وتبلورت المضامين الكثيرة من حياة النبي في شعره مثل: أخلاق النبي، أميته، معجزاته ومعراجه وخروجه من مكة. إن النبأ بظهور النبي من جانب سائر الرسل وتفوقه عليهم كان من المضامين التي تكلم البرعي حولها ويبدو بالنظر تناول الشاعر بتبيين الأفكار والمعاني المشتركة التي كانت سببها تصوراته بالنبي وهذه ناتجة عن تأثيره من القرآن الكريم والكتب التأريخية والروايات أهل التصوف.

المصادر

القرآن الكريم.
الإربلي، علي بن عيسى. (1381)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تبريز: مكتبة بني هاشمي.
ابن سعد. (1990)، طبقات الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطاء، بيروت: دار الكتب العلمية.
ابن شهر آشوب، محمد بن على. (1384)، مناقب آل أبي طالب، ط 2، قم: سليمان زاده.
ابن عساكر، أبو القاسم علي بن حسن. (1415)، تأريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، بيروت: دار الفكر.
ابن كثير، اسماعيل بن عمر. (1408)، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، بيروت: دار إحياء التراث.
ابن منظور، محمد بن مكرم. (لاتا)، لسان العرب، ط 3، بيروت: دار صادر.
البرعي، عبدالرحيم. (1412)، الديوان، بيروت: المكتبة الثقافية.
حاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله. (1400)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق معظم حسين، بيروت: دار الآفاق الجديدة.
الخوارزمي، حافظ ابو المريد. (1374)، المناقب، ترجمة ابو الحسن الحقيقي، طهران: برهان.
ديار بكري، شيخ حسين بن محمد بن حسن. (1390)، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس، مشهد: سازمان كتابخانه‌ها.
زكي مبارك، محمد. (1997)، المدائح النبوية، ط 2، دمشق: مكتبة الشرق الجديد.
الزمخشري، جارالله أبي القاسم محمود بن عمر. (1418)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: مكتبة العبيكان.
شميسا، سيروس. (1386)، فرهنك تلميحات، طهران: نشر ميترا.
شيخ الصدوق، محمّد بن على بن بابويه القمّي.(1398)،التوحيد، قم: دفتر انتشارات اسلامي وابسته به جامعه مدرسين حوزة علمية.
قطب، سيد. (1408)، في ضلال القرآن، بيروت: دار الشروق.
المجلسي، محمد باقر. (1403)، بحارالأنوار، ط 3، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
مرتضى العاملي، سيد جعفر. (1388)، سيرت جاودانه، ترجمة و تلخيص كتاب الصحيح من سيرة النبى الأعظم (ص)، ترجمة الدكتور محمد سپهري، ط 5، طهران: سازمان انتشارات پژوهشگاه فرهنگ و انديشه اسلامي.
الميبدي، ابو الفضل رشيد الدين. (1344)، كشف الأسرار و عدة الأبرار، به اهتمام علي اصغر حكمت، طهران: انتشارات جامعة طهران.